حـــــوارات

القـاص والـروائـي سعـد محمد رحيـم:

المثقف الآن هو فاعل اجتماعي يدس أنفه في الشأن العام ويحاول التأثير في وعي المجتمع

حاوره: مازن لطيف

من كتبه المنشورة:

.الصعود إلى برج الجوزاء.. قصص ١٩٨٩. بغداد.
.ظل التوت الأحمر.. قصص ١٩٩٣. بغداد..هي والبحر.. قصص ٢٠٠٠. بغداد..غسق الكراكي.. رواية ٢٠٠٠. بغداد..المحطات القصية.. قصص ٢٠٠٤. بغداد..تحريض.. قصص ٢٠٠٤. دمشق..زهر اللوز.. قصص/ تحت الطبع. بغداد.

حصل على جوائز عديدة منها:

.الجائزة التقديرية في مسابقة القصة القصيرة.. وزارةالثقافة.بغداد ١٩٨٢.
.الجائزة الثانية في مسابقة المجموعات القصصية .. وزارة الثقافة.بغداد ١٩٨٨.
.الجائزة الثالثة في مسابقة المجموعات القصصية .. وزارة الثقافة.بغداد ١٩٩٣.
.جائزة الإبداع الروائي في العراق لسنة ٢٠٠٠ عن روايته (غسق الكراكي).
.جائزة أفضل تحقيق صحافي في العراق ٢٠٠٥.

القصـة العراقيـة اليوم هـي الأفضل من بيـن ما يكتب من قصـص عربياً

النقد لم ينصف أياً من المبدعين العراقيين، ولاسيما القاصين والروائيين منهم إلاّ باستثناءات قليلة.. جيلنا، أولئك الذين نشروا منذ الثمانينيات لم ينالوا حقهم من الاهتمام النقدي. وهناك من الكتاب المبدعين من لم يُكتب عنهم قط.. لمدة طويلة انغمس كثر من النقاد العراقيين في التنظير ولم يتنبهوا للنقد التطبيقي إلا مؤخراً.. الإبداع السردي العراقي بحاجة إلى مراجعة نقدية موضوعية جادة واكتشاف انجازاته من الناحية الفنية ومن ناحية تطور وجهات النظر والأفكار والمضامين.
هذا مايحدثنا عنه القاص والروائي سعد محمد رحيم المولود عام ١٩٥٧عمل في حقل الصحافة. ونشر أعماله الصحافية في بعض الصحف والدوريات العراقية والعربية. نشر نتاجاته الأدبية والفكرية في الصحف والدوريات العراقية والعربية منها (الأقلام، الموقف الثقافي، الصدى، المسار، الرافد، أفكار، دبي الثقافية، المدى، السفير)
كان لنا معه هذا الحوار :

□ في فترة الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين كان المثقف يوجه الجماهير، يؤثر في الشارع العراقي لكن اليوم ماذا حدث ؟ هل انتهى دور المثقف ؟ أين يكمن الإشكال هل فيكم أنتم بوصفكم مثقفين حين تخليتم عن دوركم ؟

– علينا أولاً أن نحدد المقصود بكلمة مثقف، ومن هم المثقفون.. المثقف الآن هو فاعل اجتماعي يدس أنفه في الشأن العام ويحاول التأثير في وعي المجتمع بوساطة الأفكار والمفاهيم والآراء مستثمراً وسائط الإعلام والاتصال الحديثة ومؤسسات المجتمع المدني. بهذا المعنى يكون الإعلاميون والمحللون السياسيون والخبراء في شتى الاختصاصات الذين يدلون بآرائهم عبر القنوات الإعلامية وحتى المعلقين الرياضيين هم من شريحة المثقفين فضلاً عن الأدباء والفنانين والأكاديميين ورجال الدين. وفي هذه العجالة لا أريد الخوض في مسألة الفرق بين المثقف التقليدي والآخر العضوي بحسب تعريف غرامشي. لكني أقول أن المثقف لم يتخل عن دوره وإنما الأدوار نفسها قد تغيرت، والوظائف ما عادت هي عينها. لم يعد للمثقف التقليدي الذي كان يلهب حماس الجماهير ويحرضها على الفعل الفرص القديمة ذاتها.. المجتمع تغير وكذلك وسائل الاتصال به ولاسيما تقنيات الإعلام.. أحسب أن المجتمع ما يزال يتأثر بطروحات المثقفين، وأكثر من أي يوم مضى، ولكن ليس بسرعة.. وذات مرة قلت في مقابلة صحافية بعد ٢٠٠٣/٤/٩ بأشهر قليلة أن أحد أسباب سقوط نظام صدام حسين بهذه السرعة هو ثرثرة المثقفين ولغطهم الذي لم ينقطع يوماً هنا وهناك.. المثقفون ينخرون أساس أي نظام سياسي أو اجتماعي لا يعجبهم، ببطء ودأب صبور من خلال بذر الأفكار وطرحها بأساليب ذكية ومؤثرة.. لم يعد المثقف موقد الشرارة التي تحدث حريقاً سرعان ما يخمد وإنما بات خبيراً في صناعة الرأي العام وتغيير القيم والأفكار وهذه لا تحدث بين ليلة وضحاها، ولا تعطي نتائجها إلا لاحقاً، وربما بعد سنوات أو عقود.. هناك اليوم صراع ضار في نطاق الأفكار يخترق وأحياناً يشوش الوعي الاجتماعي لدينا أفقياً وعمودياً، وقد يتخذ في بعض الأوقات أو عند بعضهم صيغاً عنيفة.. والتحولات الكبرى تسبقها وترافقها إرهاصات وتفاعلات فكرية وثقافية حادة. وثمة صراع اليوم بين من يدعون للحياة والحرية والحق والجمال وبين أولئك الذين يدعون للموت والعبودية والبشاعة. أما من سيحسم الصراع من وجهة نظري فهم أولئك الذين يسايرون منطق التاريخ والحضارة والمدنية وينحازون للإنسان وحريته وسعادته.

□ لكل ناقد رؤيته الخاصة للممارسة النقدية.. ما النقد عندك؟ وما أدواتك المعرفية؟ وما المنهجية التي تستخدمها في التشريح النقدي؟

– لا أصنف نفسي من ضمن النقاد.. لست ناقداً أدبياً متخصصاً.. أكتب مقالات فيها انطباعات واستبصارات نقدية وأكتب عروضاً للكتب في الصحافة تحمل بعضاً من آرائي النقدية الخاصة وأكتب بعض الدراسات أحياناً عن رؤيتي إلى الفنون الأدبية وبعض المدارس النقدية. وأفهم النقد كفعالية تُعنى بتقويم الأعمال الإبداعية وإضاءة جوانبها الخفية وإرشاد القارئ إلى مفاتيحها وكيفية فك شفراتها.. أطلعت على كم لا بأس به من نتاجات النقاد والمفكرين من مختلف المدارس النقدية الأدبية والفكرية وهذا لا يعطيني امتياز كوني ناقداً أو مفكراً إلا إذا صنّفنا النتاج الأدبي من قصة ورواية أعمالاً فكرية والقاص والروائي مفكرين.. في هذه الحالة فقط أكون مفكراً لكوني قاصاً أولاً وروائياً ثانياً..هذا ما يصنفني به بعض النقاد والكتّاب، أو في الأقل ما أصنف به نفسي. من الصعب أن أقول لك ما هي أدواتي المعرفية.. أميل إلى التحليل والنقد التاريخي والاجتماعي والنفسي وقد استفدت من قراءاتي لماركس وسارتر وفرويد وكارل يونغ وفوكو وإدوارد سعيد وطه حسين ومحمد أركون وغيرهم كثير، لكني لا أتبنى مدرسة نقدية أو فكرية بعينها من غير مراجعة نقدية، ولا أنكر فضل أولئك جميعهم عليّ وعلى تكوين ثقافتي. ومن خلال تجربتي في القراءة وتجربتي في الكتابة وتجربتي في الحياة أيضاً بلورت منهجي الخاص بي سواء في الكتابة السردية أو الكتابات النثرية الأخرى في مجالات النقد والفكر والثقافة.

□ من قارئك المفترض؟ كيف تتصوره؟ كيف تتوقع تفاعله مع نتاجاتك؟

– لا أدري ما الذي تقصده بالقارئ المفترض.. النقاد الغربيون من أنصار مناهج القراءة يتحدثون عن قارئ افتراضي كامن في داخل النص.. غير أني شخصياً حين أكتب أتخيل قارئاً يتغير في كل مرة، قد يكون صديقاً أو شخصاً لا أعرفه، ينبهني ويجادلني ويشاكسني. وهذا القارئ يجعلني مسكوناً بالهواجس والوساوس مثل ضمير حي أو قاض لا يهادن ولا يرحم. ولذا أقرأ النص الذي أكتبه مرات عديدة، أكثر من عشر مرات أحياناً وأغير دائماً كلمة هنا وجملة هناك لكني نادراً ما أغير النص بكامله.. الكتابة الأولى هي الطازجة وهي الصادقة في الغالب. بالمقابل أفرح حين ينقل لي قارئ ما ملاحظاته بشأن نص لي.. وحين اقتنع وكثيراً ما أفعل فأني أراجع النص وأغير فيه إذا لم تكن قد نُشرت والمشكلة تبدأ حين تنشر عملاً وتكتشف فيه فيما بعد مواطن قصور واختلال وضعف.. ولي أعمال مبكرة كنت أتمنى لو كتبتها الآن.. لقد استنفدتها بطرق سيئة. وربما عدت لبعضها يوماً ما وأعدت كتابتها في ضوء رؤية أكثر نضجاً.

□ كيف ترى واقع الكتابة السردية (القصة والرواية) في العراق الآن؟

– الكتابة السردية العراقية بخير.. هذا ما أؤمن به.. القصة العراقية هي الأفضل اليوم من بين ما يُكتب من قصص عربياً، والرواية العراقية بدأت تزدهر وتجد مساحة اهتمام أكبر ولاسيما التي تُطبع خارج العراق حيث فرص التوزيع والترويج أكبر بمئة ضعف بالقياس مع ما عندنا..التجربة العراقية في العقود الأخيرة هي من الضخامة والقسوة والثراء بحيث توفر للمبدع العراقي مادة خصبة للكتابة فضلاً عن تعرّف هذا المبدع على تطور أساليب الكتابة السردية في العالم والاستفادة منها ومما تراكم من خبرات طوال قرابة القرن، وهو عمر السرد العراقي الحديث. ذلك ما سيجعل السرد العراقي ينتعش. وأحسب أن العقدين القادمين سيشهدان بروز أسماء كبيرة ونتاجات مهمة في مجال الأدب السردي القصصي والروائي. الكاتب العراقي بحاجة فقط إلى عناية نقدية جادة وإلى ترويج لإبداعاته وكتبه وتوزيعها بشكل جيد.

□ تجربتك مع النشر، كيف تقيمها؟

– مشكلتنا ليست في النشر فقط بل في التوزيع كذلك.. شخصياً لا أواجه معضلة في النشر، على الرغم من بعض الصعوبات أحياناً والتي تتعلق بتأخير نشر الكتب عندنا في العراق، وعدم التمكن من التعامل بحنكة ودراية مع دور النشر العربية.. هذه مشكلة كثر من مؤلفينا.. لا توجد في العراق دور نشر كبيرة خاصة مثلما هي موجودة في سوريا ومصر والمغرب ولبنان.. لدينا دار الشؤون الثقافية وهي مؤسسة النشر الأكبر في العراق.. لم تتمكن هذه الدار حتى الساعة من إيجاد قنوات توزيع جيدة وليست هي المسؤولة غالباً عن ذلك.. تذهب إلى مخازنها وتجد جبالاً من المنشورات الممتازة، لكنها تقبع هناك لمدة طويلة وأخشى أن أقول إلى الأبد لبعض الكتب.. ما فائدة أن تكتب وتطبع ولا يقرأك إلا ثلة من أصدقائك ومعارفك.. انقرضت أو تكاد مكتبات القطاع الخاص ولاسيما في المحافظات. والمكتبات العامة لا تشتري الكتب الجديدة.. لو كانت كل مكتبة عامة في مدن البلاد وكل مكتبة مدرسية وجامعية تشتري عدداً من الكتب العراقية في كل سنة لفرغت مخازن دار الشؤون ولاحتاجت لطبعات جديدة من بعض الكتب.. أرى أن تتفرغ دار الشؤون لمسألة النشر فقط ويُصار إلى إيجاد مؤسسة جديدة خاصة بتوزيع المطبوعات العراقية والترويج لها في الداخل والخارج، تؤسس قنوات توزيع في الجامعات ومراكز المدن الكبيرة وتقيم معارض خاصة وتشترك في معارض خارجية.. ليست لدينا تقاليد راسخة لتوزيع وترويج الكتاب كما هي الحال في مصر ولبنان في سبيل المثال، ويمكن الاستفادة من تجارب هذه البلدان وغيرها بهذا الخصوص. أما بشأن تجربتي الخاصة مع النشر فهي لا تخرج عن الإطار العام الذي ذكرته..

□ هل أنصفك النقد؟

– النقد لم ينصف أياً من المبدعين العراقيين، ولاسيما القاصين والروائيين منهم إلاّ باستثناءات قليلة.. جيلنا، أولئك الذين نشروا منذ الثمانينيات لم ينالوا حقهم من الاهتمام النقدي. وهناك من الكتاب المبدعين من لم يُكتب عنهم قط.. لمدة طويلة انغمس كثر من النقاد العراقيين في التنظير ولم يتنبهوا للنقد التطبيقي إلا مؤخراً.. الإبداع السردي العراقي بحاجة إلى مراجعة نقدية موضوعية جادة واكتشاف انجازاته من الناحية الفنية ومن ناحية تطور وجهات النظر والأفكار والمضامين.
هناك أكثر من مئة دراسة ومقالة ومراجعة خاصة عن مجموعاتي القصصية وروايتي (غسق الكراكي) كتبها نقاد ومبدعون عراقيون وعرب، بينهم أسماء لامعة.. قد يبدو هذا الرقم كبيراً وهو كذلك لكن الكتابة عن عمل ما عندنا لا يؤدي إلى رواج وسعة انتشار العمل الإبداعي.. عرضان جيدان لأية رواية غربية يمكن أن يفضي إلى بيع مئات آلاف النسخ منها وهذا لا يحدث في الفضاء الثقافي العربي لأسباب ذكرت بعضها وأغلبها تتعلق بفنون الإعلان والدعاية والترويج، أي تسويق الكتاب الإبداعي.. نحن بحاجة لإعادة الاعتبار للقراءة في مجتمعنا، وجعلها فعالية ثقافية فردية وجماعية، والسؤال هو؛ كيف؟.

تلـويحـة المـدى

الكتابة بوصفها حقلاً بصرياً

شاكر لعيبي

ليس صعباً على متابع حصيف إدراك أن القليل من القراء فحسب يهتمّ جدّياً بموضوع "الصورة" ودلالاتها وطريقة تأويلها. وثمة سببان لذلك، الأول أعرفه بوصفي شاعراً: إن ثقافتنا هي ثقافة الكلمة من جهة، ومن جهة أخرى ثمة حجة موضوعية: لا تترك المشكلات الملحة المتسارعة في البلدان العربية هامشاً لحقل الصورة المتخصّص برغم أهميته القصوى.
لكننا نعود هنا إلى الموضوع بمناسبة (الكتابة) و(المكتوب) بوصفه صورةً أو أيقونة icône هذه المرة. نستخدمُ المفردة أيقونة بمعناها اليوناني الأول (eikona) الذي يعني صورةً تشخيصية مرسومة image قبل أن يتمحور حول الصورة الدينية في المذهب الأرثوذوكسيّ خاصةً.
إن الكتابة هي حقل بصري عن جدارة. لقد اخترع البشر للأصوات وتصويتات الكلام وأصغر وحداته phonème ما يلائمها من (أشكالٌ بصريةٌ) تقرأها حاسة البصر ثم تُنطق وفق عرف جارٍ ونسقٍ صارم.
الكتابةُ، جوهرياً، هي رسم، هي أثر على سطح، وبالتالي فهي عمل غرافيكي graphique، أي أنها، مرة أخرى فاعلية بصرية. أن الغرافيم graphème، الوحدة الأساسية لكتابة ما، يمثّل تاريخياً المرحلة الحاسمة بين الشفاهيّ والكتابيّ. ثم أن ما يسمّى بال (غرافي graphie) إنما هو تمثيلٌ مكتوبٌ لكلمة من الكلمات. الغرافي هذا قد يكون مرسوماً بالقلم أو بأداة أخرى وحتى بالضوء، لذا نجد الكلمة في نهاية مفردات مثل (فوتو- غرافي) و(كالي - غرافي = فن الخط) و(طوبو- غرافي)...إلخ. ومما له دلالة أن التصوير الفوتوغرافي كان يسمّى أول اكتشافه "الرسم بالضوء" لأنه أيضا أثر على سطح..
بين أيدينا أدلة جديدة، طريفة، على غياب الاهتمام بالصورة بمناسبة الكتابة والمكتوب بوصفهما عملاً غرافيكياً بصرياً. فإننا سنصاب بالاندهاش أن "يرسم" مثلاً الكاتبين محمد شعير (الأخبار البيروتية ٢٠ أيلول ٢٠٠٨) ورزاق عداي (الصباح البغدادية ٩ نوفمبر ٢٠٠٧) اسم علم عراقي هو (لعيبي) على هذه الشاكلة (اللعيبي) بألف ولام في مادتين يرد فيهما اسم كاتب هذه السطور. لم أكتب الاسم إلا بصورته العارية من الألف واللام على أغلفة كتبي وفي جميع كتاباتي المفترض أن يكونا قد (شاهداها). ماذا حدث يا ترى لعيني الناقدين ولباصرتهما لكي يريا أكثر من عنصر غرافيكيّ graphique غير موجودين في أصل "الغرافي graphie"؟. هذا مثال طريف ونودّ ألا يأخذه الناقدان الكريمان والمحررون الثقافيون في الصحيفتين المذكورتين إلا على سبيل الدعابة التي قد تقودُ لبرهان عن المشكل الراهن الذي يؤرقنا. من الواضح إننا نتجاهل هنا (المنطوق) ونتحدث فقط عن (المرئي). الملاحظة الأخيرة دفاع يستبق ما يمكن أن يُقال عن الاشتباه في نطق اسم العلم المذكور. لسنا هنا في مقام (النطق) لكن (الرؤية). إذا كنا لا نرى المرئيّ فإن هناك مشكلة حقيقية في علاقتنا بالصورة بأشكالها الصريحة أولاً وبما هو غرافيكيّ- بصريّ ثانياً. فحوى المقالتين لم يَعُدْ مُهماً قدر طبيعة استخدامهما حاسّة البصر التي نودّ جلب الانتباه كله لها، وهو أمر ليس مُحايداً ويمتلك مضموناً قد يوازي مضمون المقالات الأدبية. لنتذكّر، في مقام المضمون، التأملات الطويلة، البصريّة- الصوفيّة، التي يكرّسها ابن عربي في "الفتوحات المكية" لحرفي اللام والألف (لا)، وللألف وحدها من بين حروف أخرى.
في الثقافة المحلية، العراقية بشكل خاص، التي لا تفرّق بين نطق الضاد والظاء، فإن السيطرة على إملاء المفردات المُشتَبَه بها يقوم أساساً على الذاكرة البصرية (الضفيرة مثلاً)، وهو ما قد يفسِّر كثرة أخطائنا في كتابة تلك المفردات ذلك أننا لا نقيم كبير وزن للبصريّ. نحن لا نتذكّرها لأننا نقلّل من القيمة البصرية للألف المدودة فوق الظاء أو نحن لا نتذكر غيابها. إننا نعتبر البصريّ معطى بديهياً وُلدنا مزودين به، ونظنّ في أنفسنا القدرة على تأويل أي صورة وكل عمل غرافيكي من دون أدنى الجهود ومن دون أشغال الذاكرة.
لنعترف بأن العرب يمنحون الكلمة المقام الأسمى، وهم يقدِّرون الشفاهيّ اليوم كما بالأمس وإن زعموا خلاف ذلك. ينتظر الصورة والعمل الغرافيكي مجهودٌ ثقافيٌ فعليّ من أجل تقديم قراءة وافية لهما وعنهما. أن الأخطاء الرائجة في "الاستخدام الخاص للعين" الذي يضبّب التفاصيل، بل لا يراها، يمتلك دلالات خفيّة تسمح لنا بتطوير فكرة عن الوعي البصريّ في ثقافتنا الذي هو جزء من الثقافة العامة. يمكن أن نقول، بقليل من الإفراط، بأن من يمتلك عينين اثنتين قد لا يكون مُبْصِراً بالفعل إذا لم يكن بصيراً. ولا أقصد البتة الإشارة للكاتبين المذكورين هنا بحال. في اللغة العربية ثمة ترادفٌ خلاقٌ بين كلمتي (البصر) و(البصيرة): الحاسة المعروفة والحكمة الخفيّة.

الثقافة المحلية، العراقية بشكل خاص، التي لا تفرّق بين نطق الضاد والظاء، فإن السيطرة على إملاء المفردات المُشتَبَه بها يقوم أساساً على الذاكرة البصرية (الضفيرة مثلاً)، وهو ما قد يفسِّر كثرة أخطائنا في كتابة تلك المفردات ذلك أننا لا نقيم كبيرِ وزن للبصريّ. نحن لا نتذكرها لأننا نقلل من القيمة البصرية للألف المدودة فوق الظاء أو نحن لا نتذكر غيابها. إننا نعتبر البصريّ معطى بديهياً وُلدنا مزودين به، ونظنّ في أنفسنا القدرة على تأويل أي صورة وكل عمل غرافيكي من دون أدنى الجهود ومن دون أشغال الذاكرة.

مجموعة وكان الكون رمادياً باللغتين السويدية والعربية

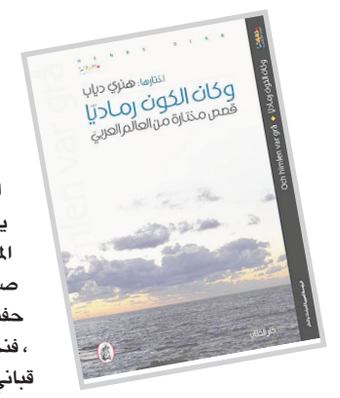

وكان الكون رمادياً . مجموعة قصصية لـ (١٢)كاتباً وكاتبة عربية ترجمت الى اللغة السويدية ، وقد تم اختيار القصص من قبل هنري دياب، استاذ الادب العربي وترجمها الى السويدية بمساعدة شيرستي يوهانسون وهيلين افري. القصص المترجمة هي: "حفنة تمر" للطيب صالح، لم تكن تدرس" للسعودية زينب حفني ، "القيلولة" لسلوى نعيمي.سوريا ، فنجان قهوة مع مسز روبنسون "لغالية قباني.سوريا" حيرة سيدة عجوز لمهدي عيسى الصقر.العراق" في المرآة لابتسام عبد الله.العراق "غرفة للسيدات " لهناء عطية.مصر "الغربة في الوطن" لفوزية عشماوي.مصر ، "الزانية" لمحمد زفزاف.المغرب ، "معي كل يوم" لعبد الستار ناصر.العراق ، "زهرة تدخل الحي لليلى عثمان.الكويت ، امي وما يكون هذا المفتاح "لسميرة عزام.فلسطين. وكان هنري دياب قد ترجم مختارات شعرية لمحمود درويش ومختارات من الشعر السويدي مترجمة الى العربية. ومن الجدير بالذكر ان الكتاب صدربطبعتين الاولى باللغة السويدية عن دار الكتاب في السويد، وطبعة اخرى باللغة العربية عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، وقدم لهذه المجموعة المختارة الدكتور عوني الفاعوري ، نائب مدير مركز اللغات في الجامعة الاردنية.

فـي ذكـرى ولادتـه الـ (125)

جبران خليل جبران "نبي" لبناني لكل العصور

المدى /الوكالات

جبران خليل جبران

يحيي لبنان هذا العام الذكرى الخامسة والعشرين بعد المئة لولادة جبران الذي لخصه الشاعر اللبناني هنري زغيب لوكالة فرانس برس بقوله "جبران اسطع عنوان للبنان في العالم".ولد جبران المفكر والاديب والرسام، في كنف عائلة فقيرة من بلدة بشري الجبلية المسيحية المحاذية لغابة الارز الشهيرة، رمز لبنان، في شمال البلاد.منذ طفولته هاجر جبران الى بوسطن مع والدته وشقيقتيه وشقيقه مخلفين وراءهم والدا عرف بلامبالاته.بدأت شهرته مع صدور كتاب "النبي" العام ١٩٢٣ وهو كتاب نثر شعري صاغه باللغة الانكليزية. وطبع الكتاب مجددا مرات عديدة حتى تخطت نسخه الملايين وتمت ترجمته الى عشرات اللغات في العالم. يمجد كتاب "النبي" الحياة والحرية ويضم تأملات عن الحب والعمل والموت.ففيه يقول جبران عن الزواج "احبوا بعضكم بعضا ولكن لا تقيدوا المحبة بالقيود بل لتكن المحبة بحرا متموجا بين شواطىء نفوسكم. ليملأ كل واحد منكم كأس رفيقه ولكن لا تشربوا من كأس واحدة".تذكر مثالية جبران بالمثالية التي دعا اليها الانجيل. وقد اثارت هذه المثالية اعجاب جمهور يتوق الى المطلق رغم تناقضها مع التوجه الادبي حينها المتمثل بالسوريالية والذي طغى في فترة ما بين الحربين.وذكرت مجلة نيويوركر الاميركية في مقالة نشرتها في كانون الثاني الماضي ان "النبي" شكل "انجيل" ذلك العصر.
وما زالت مقاطع منه تستخدم في الولايات المتحدة خلال احتفالات الزواج وفي المآتم. ويقول زغيب ان جبران "نظر بحدسه الى الكون وبحدسه خاطب الانسان في زمانه وفي كل زمان. ترك للاجيال افكارا واقوالا ومبادىء انسانية ما زالت تتلقفها بنهم وشغف وقناعة".لكن كتاب "النبي" لا يختصر انتاج جبران، فله ايضا "رمل وزبد" و"المجنون" و"التائه" و "يسوع ابن الانسان".ويقول زغيب ان القارىء يجد في هذه المؤلفات "ما يشبع اسئلته الى الان وما بعد، الى الهنا والماوراء، فكل انسان ذي نفس بشرية رهيفة وقلقة ومتسائلة يجد في نصوص جبران اجوبة عن تساؤلاته وهذا ما يشكل عبقرية جبران".عكس جبران في لوحاته الجمال الذي اعتبر اكتشافه احد ابرز اهداف الحياة بقوله "نعيش لنكتشف الجمال، وما سوى ذلك محض انتظار"، ورأى ان الفن "خطوة تخطوها الطبيعة نحو الابدية".لكن لوحاته لم تشتهر بقدر مؤلفاته، وكان ميله الى الرسم قد بدأ يظهر بعدما امضى عامين من الدراسة في باريس حيث التقى رودان.ويقول زغيب "تتميز لوحاته ببساطتها في التعبير وبعمقها الانساني ذي الابعاد المتعددة".دفن جبران في بشري وراء جذع شجرة ارز كما اوصى، وفي جواره متحف لاعماله ضم ١٢٥ لوحة من مجموع لوحاته البالغ عددها ٤٤٠ الى جانب مؤلفاته ومحتويات محترفه في نيويورك. ونجد لوحاته الاخرى خصوصا في متحف متروبوليتان في نيويورك، وهي التي جمعتها الاميركية ماري هاسكل التي حضنته واقامت معه علاقة حب.يشبه جبران بالشاعر والرسام البريطاني وليام بليك، وتثير لوحاته مشاعر الزوار ببساطتها وعمقها وقلقها وهدوئها، خصوصا عندما تطغى عليها اللعنات.فخلال العامين ١٩٠٢ و١٩٠٣ فقد جبران شقيقته ووالدته وشقيقه بسبب مرضي السل والسرطان.
وتصور احدى لوحاته امرأة ميتة ترضع وليدها في تجسيد لشقيقته سلطانة.
طبع هاجس الموت اعماله حتى وافته المنية جراء تشمع في الكبد وهو في الثامنة والاربعين من عمره.ولا تقتصر مؤلفات جبران على تصوير المشاعر والاحاسيس. فهو يدين في كتابه "الارواح المتمردة" الخبث في المجتمع والتقاليد الاقطاعية في لبنان وسيطرة رجال الدين في مسقط رأسه.وبناء على اوامر السلطنة العثمانية التي غالبا ما انتقد جبران سطوتها، تم احراق نسخ هذا الكتاب في احدى ساحات بيروت بعدما اعتبرته الكنيسة المارونية بمثابة هرطقة.فرغم حبه العميق لبلده، درج جبران على انتقاد مواطنيه بحدة. فقد كتب "لكم لبنانكم ولي لبناني. لكم لبنانكم ومعضلاته، ولي لبناني وجماله. لبنانكم عقدة سياسية تحاول حلها الايام، اما لبناني فتلول تتعالى بهيبة وجلال نحو ازرقاق السماء".
واضاف "لبنانكم طوائف واحزاب، اما لبناني فصبية يتسلقون الصخور ويركضون مع الجداول ويقذفون الأكر في الساحات".